جامعة الفيوم

كلية دار العلوم

قسم الدراسات الأدبية

الفصل الدراسى الأول (العام الجامعى ٢٠٠٩/٢٠١٠م)

الإجابة النموذجية لمقرر الأدب العباسى والأندلسى

المجموعة الثانية: أ.د محمد مصطفى منصور

....

الأسئلة:

أجب عما يأتى:

١-استطاع الخطيب العباسى _بذكاء_ استدراج مستمعيه إلى دوائر الاختلاف بينه وبينهم، من خلال الوقوف معهم أولًا فى دائرة الاتفاق... اشرح ذلك ؛ مستشهدًا.

٢-تدور المادة اللغوية للجذر "وصى" حول دلالة الوصل ... تكلم عن الدلالة الأدبية للوصية، من خلال الدلالة اللغوية.

....

الإجابة:

١- المقصود بدوائر الاتفاق الجوانبَ التى يتفق فيها المتكلم مع مستمعيه ، ويضمن معها عدمَ اعتراضهم عليه بصورة أو بأخرى عند طرحها عليهم ، وهذه الجوانب الاتفاقية يحرص المتكلمون عادة أن يصدِّروا بها كلامهم ، لتكون توطئة وتمهيدًا لما يطرحونه على مستمعيهم بعد ذلك من الجوانب التى يختلفون فيها معهم أو يغلب على ظنه أنها عدم الاتفاق عليها ، وهو ما أُطلقُ

عليه دوائر الاختلاف .

وإذا ما اطمأن الخطيب إلى وقوفه مع مستمعيه فى الدائرة الأولى _ دائرة الاتفاق _ خرج بهم إلى الدوائر الأخرى _ وهى دوائر الخلاف _ وجرَّهم إلى ما يريد طرحه عليهم وإبلاغهم به وتثبيته فى نفوسهم . فتختلف هذه الدوائر ضيقًا واتساعًا بحسب ذكاء الخطيب وتمكُّنه من آليَّات التأثير الخطابى وتوجيه الكلام ، وبحسب طبيعة العلاقة العاطفية بين المتكلم وجمهور المستمعين .كل ذلك دون أن يتخلى الخطيب عن حدود الدائرة الأولى ، فما زال يحمد الله ويثنى عليه ويستشهد بكلامه وكلام نبيه ﷺ ، ولكنه يحمد الله الذى خلقهم للخلافة دون غيرهم من الناس واصطفاهم لذلك ، فالثناء على الله تعالى هنا ثناءٌ موجَّهٌ، ظاهره مدح الله تعالى والثناء عليه لاستمالة عواطف المسلمين، وحقيقته إيصال رسالة ضمنية إليهم بأن هذا الإله العظيم المستحق لكل ثناء حسن وقول جميل ، والذى يعبده الناس جميعًا (متكلمون ومستمعون) هو الذى هيَّأ للمتكلم تملُّك رقاب المستمعين والتحكم فى شئونهم ومصالحهم ؛ مستغلًّا حالةَ الاستقرار الوجدانى الأولى التى اتفق معه فيها المستمعون ، ومغلقًا بهذا المدخل البابَ أمام كل متطلع للخلافة دونه ودون أهله ، أو مشارك لهم فى شىء منها ، أو مناصر لخصومهم والخارجين عليهم ، بل ومهدِّدًا تهديدًا خفيًّا كلَّ من تسول له نفسه أن ينازعهم ما خلقه الله لهم وحدهم . فلا يملك مستمعوه حينئذ ، أو من يصل إليهم كلامه ، إلا التسليم بما أراد تقريره بذكاء فى بداية الخطبة ؛ تسليمًا عاطفيًّا منقادًا ، أو تسليمًا اضطراريًّا قهريًّا .

ولقد بدأ أبو العباس السفاح كلامه بقضية مسلَّمة ، لا اعتراض فيها ولاشك فى صحتها ، وهى أن الله تعالى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمةً وشرَّفه وعظَّمه

(الحمد الله الذى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، وشرفه وعظمه) ، ثم أتبع ذلك بأحقية بنى العباس للخلافة والملك دون غيرهم ، وعرض ذلك عرضًا ذكيًّا مُلْبِسًا ، فقال :" واختاره لنا وأيَّده بنا ، وجعلنا أهله وكهفَه وحِصْنَه والقُوَّامَ به والذَّابِّينَ عنه والناصرين له ، وأَلْزَمَنا كلمةَ التقوى ، وجعلنا أحقَّ بها وأهلَها " فلم يفصح السفاحُ إلى هذا الحد من الكلام عن مقصوده بالضمير نا (فى قوله : لنا وبنا) وما بعده) . فهل يقصد نفسه ومستمعيه من المسلمين ، مشاركة منه لهم ، أم أنه يقصد نفسه وبنى العباس فقط ممن لا ينبغى أن يخرج المُلْك عنهم ولا يجب أن يتطلع إليه سواهم ؟

فالعبارة لم تقطع إلى هذا الحد بالمقصد الحقيقى من كلامه ، وهو ما يجعل المستمع مشدودًا إلى محدثه بصورة أو بأخرى ، مترقِّبًا للوقوف على حقيقة الدلالة ، فينشأ عن هذا الترقب فى موقف الخطاب سكونٌ يستغله أذكياءُ الخطباء لصالحهم ، للتمكن من عرض ما لديهم عرضًا متدرِّجًا يناسب الأنفس المستمعة الساكنة ، ولا يؤتى ثماره عادة فى حالات القلق والاضطراب .

لذلك حرص الخطباء أن يكون استهلالهم _ فوق بلاغته وبراعته _ متفقًا مع مستمعيهم فكرًا ووجدانًا . كل ذلك فى دوائر الاتفاق الأولى ، وهو ما يأتى به الخطيب من استفتاح يتفق معه فيه مستمعوه اتفاقا تاماً ، إلى أن يصدر عنه كلامٌ صريحٌ يفصح به عن غرضه الحقيقى ومقصده المبيَّت ، وهو ما صرح به السفاح فى الجملة التالية للكلام السابق فقال : " ... وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته وأنشأنا من آبائه ، وأنبتنا من شجرته ، واشتقنا من نبعته . جعله من أنفسنا عزيزًا عليه ما عنتنا ، حريصًا علينا بالمؤمنين رؤوفًا رحيما . ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع ... " فقطعت هذه الجملةُ كلَّ ظنٍّ

يمكن أن تكون "نا" معه شاملةً للمسلمين جميعًا ، فقد أراد بها السفاح بنى العباس فقط ، وخلع عليهم من الصفات ما لا يوجد فى سواهم ، من قرابة النبى ﷺ ، وعوَّل على هذه الصفات فى الحكم والخلافة ، فهم _ بحسب قوله _ مخصوصون برحم الرسول ﷺ وقرابته ، ومشتركون معه فى أصوله وجذور نسبه ، فلا مطعن حينئذ فى شىء من أنسابهم ماداموا يمتُّون إلى النسب النبوى العريق بصلة أكيدة ورباط وشيج.

يرسِّخ السفاح بذلك ما يريده ويؤكد ما يسعى إليه ، بوسائل متاحة ، لا يجد عناء فى استنباطها أو الاستدلال عليها ، إلا بمقدار تطويع المتاح لديه لخدمة ما يريد ، والخروج من دوائر الاتفاق بينه وبين المستمعين إلى دوائر الخلاف ، أو ما يبدو خلافًا ؛ فإن الله تعالى هو الذى اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة ، لا ريب فى ذلك ، وشرَّفه وعظمه بلا جدل ولا مراء ، وتلك دوائر اتفاق مؤكَّد . ولكنَّ الريب والجدل ينشآن من تصريحه بأن الله تعالى قد اختار الإسلام لبنى العباس وحدهم أو جعل الخلافة فيهم دون غيرهم من خلقه ، لا لشىء إلا لقرابتهم من رسول الله ﷺ ، وتلك داوئر الاختلاف التى أعوزت الخطيبَ العباسىَّ إلى تطويع كل ما لديه من مهارات لفظية وقدرة بلاغية لإيصال مراده إلى الناس ، دون أن يُحْدِث ذلك فى نفوسهم أثراً سلبيًّا قد يؤثر على نظام حكمهم فيما بعد .

وليس بالضرورة هنا أن يكون مضمون الكلام خاضعًا لمقاييس الأداء العلمى الصحيح أو المنطق وأصول الاستدلال وقوة الحجة ؛ فإن جمال الأداء وحسن العبارة وجزالة اللفظ وكثرة الاستشهاد وتنوعه قد تطغى على قوة الدليل وبراعته ، إذ لا يخفى هنا أن القرابة من رسول ﷺ _ مجردة _ ليست

مسوِّغةً لوقف الخلافة عليها دون غيرها من الناس . وهل يخفى على مستمعى أبى العباس السفاح ما روى عن النبى ﷺ فى قوله :" كلكم لآدم وآدم من تراب ." أو قوله لذوى قرابته :" اعملوا فلن أغنى عنكم من الله شيئا " ؟! وإذا كان ما طرحه السفاح أمام مستمعيه حتمًا لازمًا ، فلِمَ جاء أبو بكر وعمر خليفتين بعد النبى ﷺ دون أن يعترض عليهما أحد من بنى العباس أنفسهم ، وعلى رأسهم عبد الله بن عباس _ رضى الله عنه _ جدهم الأعلى ؟! .

لقد اعتمدت الخطابة فى هذا العصر غالبًا _ وبخاصة السياسية _ على براعة اللفظ وجمال الأداء فى المقام الأول ، أكثر من اعتمادها على حجة القضية المطروحة ومنطقيتها ، بل ربما تعمد الخطباءُ إغفال الحجج والبراهين ليقينهم الكامل أن عرضَها حياديةً نزيهةً ليس فى صالح بقاء ملكهم فى شىء ، فيطرحون على المستمعين عوضًا عنها ما يشنِّف آذانَهم ويُرضى أذواقَهم ، من براعة اللفظ وجمال الأداء وحسن الاستهلال .

ولسنا نعيب على المستعين حينئذ عقلًا أو حصافة ، فهم ربما يقبلون من خطيبهم ذلك مجاملةً له أو خوفًا منه ، أو رِضًا بقرابته للنبى ﷺ ، واعتبارهم أن ما أورده من أدلة هى استئناس بتلك القرابة وتمحك فيها ، وليس استدلالًا قويًّا وحجة بالغة على صحة ما يقول .وربما قبلوه إيثارًا للسلامة وحقنا لدماء المسلمين التى أصبحت تسيل لأتفه الأسباب . وربما رضى المستمعون من خطيبهم السياسى بفصاحته ؛ عوضًا عن قوة حججه ومنطقيتها لاستشرافهم صلاحَ أمره بصلاح لفظه ، وتوسمهم سلامةَ قصده بسلامة قوله وحلو منطقه ، وتفاؤلهم الخير بخلافته من عبارته الجزلة وأسلوبه العذب .

وهم يدركون حينئذ أنه قد رُبِّى على أصول التربية العربية وقواعدها ، وأُدِّب

بآدابها وتشبع بلغتها ، حتى بلغ فيها منازل البراعة ، وصعد منها مدارج الجودة والإتقان . وإن شئنا قلنا إن مواجهة الخطباء السياسيين للجمهور بخطبهم ، هو اختبار لمقدرتهم الكلامية وتمكنهم من عرض قضاياهم عرضًا جميلًا يُعجب السامعين ، قبل أن يكون اختبارًا لصدقهم فى إنجاز ما يعدون به أو أمانتهم فى حقيقة ما يستدلون به على صدق ادعاءاتهم .

....

٢- تدور المادة اللغوية للجذر "وصى" حول دلالة الوصل، قال ابن فارس: " الواو والصاد والحرف المعتل : أصلٌ يدل على وصل شىء بشىء . ووَصَيْتُ الشىءَ : وصلتُه . ويقال : وطِئْنا أرضًا واصيةً ، أى إن نبتها متصل قد امتلأت منه. ووصَيْتُ الليلةَ باليوم: وصلتُها، وذلك فى عمل تعمله. والوصِيَّةُ من هذا القياس، كأنه كلامٌ يُوصَى أى يُوصَل. يقال: وصَّيْتُه توصيةً، وأوصيتُه إيصاءً ". ولاتختلف الدلالة الأدبية للوصية عن دلالتها اللغوية ، فهى شكل من أشكال الاتصال العاطفى بين الموصِى والموصَى إليه ، يراد منها فى الغالب تحقيق المنفعة للموصَى إليه ، ولايُتَصَوَّرُ الموصِى غالبًا إلا مخلِصًا بعيدًا عن الأغراض والأهواء.